الفصل الحادي عشر

أسباب وعوامل انهيار الدولة والخلافة الإسلامية

رأينا فيما سبق تتابع انهيار الدول الإسلامية ، فمنها ما لم يتجاوز عمره سنين معدودات ومنها من طال بقاؤه .. ومن الحكام من حكم لأيام معدودات ، ومنهم من أمضى السنين المتأخرة من حياته في كبوة وعناء ، ومصدر ذلك أسباب أهمها :

- **ضعف الوازع الإيماني .**
- **انحراف الولاة عن المنهاج الإسلامي ..**
- **الصراع من أجل الخلافة (أو الملك) .**
- **الانصراف إلى الترف والمجون .**
- **ارتقاء ملوك صغار سدة الملك .**
- **الاستبداد والظلم .**

وسنلقي الضوء على هذه الأسباب فيما يلي باختصار قدر الإمكان ..

- **أولا : ضعف الوازع الإيماني ..**

في الحقيقة ؛ يمكن القول ــ بلا أدنى مبالغة ــ أن السبب الرئيسي أو الأساسي في انهيار الدولة الإسلامية هو ضعف الوازع الإيماني ..!!! فالرؤية الحقيقية للدين الإسلامي ، وواقع وجود الإنسان ومصيره ، وكذا الغايات من خلقه ، أصبحت جميعها في خلفية بعيدة في الصورة بالنسبة للحكام حتى شحبت معالمها ولم يعد يتبينها أحد ، وبالتالي طفت على السطح النفس الفاجرة .. كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾

(القرآن المجيد : الشمس {٩١} : ٧ - ١٠)

[فألهمها فجورها وتقواها : أي أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد ركب في النفس البشرية كل من جانبي الشر والخير . وتقديم الفجور على التقوى يعني تغليب جانب الشر على جانب الخير لدى الإنسان ــ قد أفلح من زكاها : أي قد نجح كل من رفع من شأن نفسه بالطاعة ــ وقد خاب من دساها : أي قد خسر من أخفى جانب الخير من نفسه بارتكاب المعاصي .. والمراد هنا بكلمة " دساها " أن الإنسان ــ بالفطرة ــ يحاول أن يخفي المعصية]

وبهذا سقطت الأنظمة الحاكمة والشعوب في التزيين .. كما جاء في قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٤ - ١٥)

وبهذا آثروا الحياة الدنيا على الآخرة .. كما جاء في تنبيه المولى (ﷻ) للإنسان :

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) ﴾

(القرآن المجيد : الأعلى {٨٧} : ١٦ - ١٩)

ولا يصح هنا التبرير ، والاعتماد على أحكام فقهاء السلطة .. لأن العبرة ــ في النهاية ــ بالأحكام الإلهية المطلقة .. كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّع بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٩٤)

وهكذا ؛ حاد ضعف الوازع الإيماني بالمسلمين عن خطة الإسلام ، فالإسلام أقام الإيمان رقيبا على أعمال الإنسان وزوده بدقة الحس في التمييز بين الخير والشر ، وبين الفضيلة والرذيلة ، وبين العدل والظلم ، وجعل النية الحكم في هذا التمييز ، وعلى حُكمها يحاسب الإنسان . وقد تعصف الأهواء بالإيمان ، فيفقد الإنسان الإحساس بالخير والعدل والفضيلة ، ويصدر حكم النية مشوبا بالشر والظلم وبكل ما يخالف الفضيلة .

وقد كان إيمان المسلمين الأولين ناصعا لا تفسده الأهواء ، قوي الإحساس بالعدل وبكل مكارم الأخلاق ، فقادهم إلى الفتح العظيم ، ودخل الناس في دينهم أفواجا لما رأوا من الصدق في دعوتهم ، وكانوا فيها مثلا يحتذى ، فلما ترف أخلافهم بنعماء الدنيا وأسرفوا في الأطيبين (المال ، والنساء) منها ، تعلقوا بأذيالها ، وأقبلوا عليها إقبال عاشق غاب رقيبه .

وتراخت رقابة الإيمان على أعمال الخلفاء والحكام ..!!! فحل الظلم محل العدل فأخفت صوت الحق .. وقضى سيف الظلم على صولته ، وأضحت القوة هي الحاكم الذي لا يرد والحكم الذي لا ينقض ، وبرز الباطل يختال في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والأثرياء ، متشحا بكل مظاهر العبث والمجون ، فألهاهم عن مصالح الأمة ، فشاع الفساد في الحكم والقضاء والإدارة ، وقفز إلى مناصب الدولة المنافقون ومنهم من اتخذ الدين سلما للوصول إليها ، فساهموا في الإفساد وأعانوا على الظلم ، وسادت الفوضى فكانت غنما للصوص والعيارين ..!!!

ولم يقتصر الأمر على فساد الخلفاء .. بل طال الفساد أيضا علماء الدين . فيذكر السيوطي (في تـــاريخ الخلفاء ، ص : ٢٤٦) ما أن تولى " يـــزيد الثاني بن عبد الملك " (راجع الدولة الأموية) ..

" حتى أتى بأربعين شيخا فشهدوا له ما على الخليفة حساب ولا عذاب " ..!!!

و يزيد الثاني جاء في أعقاب " عمر بن عبد العزيز " الذي ملأ الدنيا عدلا طوال عامين وأكثر . فإذا بـــ " يزيد " يأتي بعده لكي يملأها مغاني وشرابا ومجونا وخلاعة .. مادام العلماء قد افتوا له لا حساب عليه ولا عذاب ولا عقاب .. إذن فليفعل ما يشاء ..!!!

وفي المقابل ؛ عاش عامة الشعب في فقر وخوف ، وقهر ومذلة ، فضمر ساعده وفقد قدرته على القتال وخمدت همته . فأضحى في حالة رق فقد فيها قدرته على الإبداع ، فأوقفه

الزمن عن المسير ، وأخذ ينظر إلى الشعوب تتقدمه وهو معقود اللسان ومغلول اليدين ، فلا يستطيع حراكا . إلى هذه الحالة آل أمر المسلمين ، في جميع الدول التي تشتت فيها دولتهم ، لتساوي العلة فيها . وكأن النبي (ﷺ) كان يتوقع ما آلت إليه أمة الإسلام حين قال :

[يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ] [1]

والحاكم لا يستطيع ممارسة قهر الرعية وظلمهم بمفرده .. بل يعتمد ــ في المقام الأول والأخير ــ على شركاء السوء .. هم في حقيقة الأمر شركاء في الإثم والذنوب ، ولا عذر لهم في القول بتنفيذ الأوامر .. حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. ولهذا يحسم الحق ــ تبارك وتعالى ــ هذا الموقف بقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٦٦ ــ ٦٨)

وهكذا ؛ لا يجدي قولهم .. ﴿ .. رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ فهم جميعا في النار ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ .. ﴾ جزاءا عادلا بما قدمت أيديهم ..!!! ولكن يبقى المولى (ﷻ) باب التوبة مفتوحا للأنظمة الظالمة .. كما جاء في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) ﴾

---

١ سنن أبي داود : حديث رقم ٣٧٤٥ ، رواه ثوبان . موسوعة الحديث الشريف . الإصدار الأول ١.١ . شركة صخر لبرامج الحاسب .

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٣٠ - ٣١)

فقد كان يمكن للحضارة الإسلامية أن تقود البشرية إلى " **الحق المطلق** " لتنقذ الإنسانية المعذبة .. وتنقذ نفسها من هلاك محقق .. لو أحسنت الأنظمة الحاكمة فهم معنى الدين ، وفهم معنى دور الدين في حياة الإنسان ، وفهم معنى حقيقة وجود الإنسان ومصيره ..!!! ولكن ــ وبكل أسف ــ لقد ضربت هذه الأنظمة أسوأ المثل في السعي وراء الرغبات والشهوات .. وسقطت في وادي سحيق من فجور النفس البشرية .. لتشارك في إثم الوجود والمصير .. وتبقى كلمات الحق ــ تبارك وتعالى ــ لرسوله الكريم ليبلغ بها الإنسان .. وتكون شاهدة على إعراضه عن الحق .. كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) ﴾

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٥ - ١٨٥)

وأخيرا ؛ يبقى القانون الإلهي نافذ المفعول في قوله ــ تعالى ــ للإنسان :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾

(القران المجيد : القصص {٢٨} : ٨٣)

وهكذا ؛ يقع الجهل بالدين وراء كل هذا ..!!! بل وأصبح الجهل بالدين ــ في الوقت الحاضر ــ هو السمة المميزة والمسيطرة على الفكر البشري ، ويشمل هذا الجهل ..

- عدم فهم معنى الدين ..
- وعدم فهم معنى دور الدين في حياة الإنسان ..
- وعدم فهم معنى حقيقة وجود الإنسان ومصيره ..
- وعدم فهم معنى الغايات من خلق الإنسان ..

وتبقى الحقيقة المطلقة شاهدة على الإنسان .. في قوله تعالى :

﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) ﴾

(القران المجيد : الجاثية {٤٥} : ٢٠ - ٢٢)

- **ثانيا : انحراف الولاة عن المنهاج الإسلامي ..**

يروي لنا التاريخ الإسلامي ثلاث قصص قصيرة ــ يفصل بينهما فاصل زمني قصير .. حوالي ٥٠ سنة فقط ــ تبين لنا كيف تطور أسلوب الحكم من عصر الخلافة الراشدة إلى ما بعده بقليل ..

ففي القصة الأولى : في عام ٢٠ هـ وقف **عمر بن الخطاب** خطيبا على منبر الرسول (ﷺ) في المدينة ، وتحدث عن دور الرعية في صلاح الحاكم وإصلاحه فقاطعه إعرابي قائلا : " والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بالسيف يا عمر " .. فانبسطت أسارير عمر ، وتوجه إلى الله حامدا وشاكرا ، وذكر كلمته المشهورة : " الحمد لله الذي جعل من رعية عمر ، من يقوّمه بحد السيف إذا أخطأ .. "

وفي القصة الثانية : في عام ٤٥ هـ قال ابن عون [٢] : كان الرجل يقول **لمعاوية** : " والله لتستقيمن بنا يا معاوية ، أو لنقوّمنك فيقول : بماذا ؟ فيقول : بالخشب .. فيقول : " إذن نستقيم "

أما .. القصة الثالثة : في عام ٧٥ هـ خطب **عبد الملك بن مروان** ، على منبر الرسول في المدينة بعد قتل عبد الله بن الزبير قائلا : " والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه " [٣] ثم نزل ..

ثلاث قصص موجزة ، لكنها بليغة في تعبيرها عن تطور أسلوب الحكم ، واختلافه في عهود ثلاثة يفصل بينهم حوالي خمسين سنة فقط ..

فالقصة الأولى ؛ تبين صدق الحاكم مع الرعية ، وصدق الرعية مع الحاكم . ونحن لا نشك ونحن نقرأها في أن الأعرابي كان صادقا فيما يقوله ، وإنه كان يعني ما يقول . ونحن لا نشك أيضا في أن عمر كان يدرك تماما صدق الأعرابي فيما يقول ، ولهذا حمد الله .. وكانت سعادته وحمده صادقا مع الله ومع نفسه ومع الأعرابي .. لأنها تجنبه الزلل والخطيئة .. وبالتالي النجاة من سوء المصير . وتمثل هذه القصة النبع الصافي للإسلام الذي فهمه الصحابة الأولون .. عن معنى الخلافة في الإسلام وتبعاتها .

أما القصة الثانية ؛ فهي تبين بدء تغوّل الحاكم .. وبدء تراجع الرعية من الخوف ..!!! فعندما سأل معاوية الرجل بماذا تقومني .. وهو تساؤل يعكس ثقة عالية في النفس .. هوت على رأس الرجل كالسيف .. فيخاف الرجل ويسرع بالانسحاب ويقول : " بالخشب " .. محوّلا الأمر كله إلى دعابة .. وهنا يرضي معاوية غرور الرجل ويقول : " إذن نستقيم " ..!!! ما دام الخشب هو السلاح .. وما دام القصد هو المزاح ..!!!

أما القصة الثالثة ؛ فتمثل ما انتهت إليه السلطة من قهر غاشم للرعية .. وتراجع الرعية واستكانتها تحت تهديد الحاكم بقتلها : والتهديد هنا ، ليس لكل من يخالف رأي الحاكم فحسب .. بل لكل من تسول له نفسه بدعوته إلى " **تقوى الله** " ، وهنا يخلد **عبد الملك** بن مروان نفسه بمقالته هذه ، ويصفه الزهري بأنه أول من نهى عن الأمر بالمعروف ..!!!

---

٢ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٥ .
٣ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢١٩ .

وهكذا ؛ انحرف الولاة عن المنهاج الأساسي للإسلام ..!!! وهنا أصبحت الدولة الإسلامية عقب انتهاء عهد الخلافة الراشدة لا تمثل حكم الإسلام بمعناه الحقيقي والشامل ، بل أصبحت الدولة يُغتصب فيها الحكم ويورّث ، لتصبح ملكا عضوضا يمثل رغائب وأهواء الحاكم ..!!!

وبالتالي ؛ **لا مجال هنا لاتهام : الإسلام بأنه دين فقط .. وليس دولة ..!!! بل هو دين ودولة ولكن انحراف الحكام وإساءة استخدامهم للسلطة هو الذي أساء للإسلام ..!!!**

- **ثالثا : الصراع من أجل الخلافة (أو الملك) ..**

في الواقع ؛ لا يوجد أدنى مبالغة .. إذا قلنا أن تاريخ البشرية كلها ــ وليس التاريخ الإسلامي فقط ــ عبارة عن صراع مرير وقتال رهيب من أجل السلطة والمُلك ..!!! فالإنسان مفطور ــ بطبيعته ــ على البحث عن المجد والشهرة لتحقيق الذات ..!!! وتأتي على قمة هذه الفطرة : شهوة الملك والسيطرة على العباد ، ولكن إذا ابتعد الإنسان عن القيم الدينية ذات المبادئ المطلقة أصبح أسوأ من الشيطان نفسه في تحقيق هذه الذات ..!!! والآن ؛ إذا استخدمنا الكلمات الحقيقية في وصف المتصارعين على الحكم ؛ نستطيع القول بأن أغلب من تولى الخلافة والحكم في العالم الإسلامي ؛ **هم ظلمة وخونة وسفاحون** ..!!! **ظلمة** لأنهم استطاعوا أن يناموا على أنين المظلومين وآلامهم ..!!! **وخونة** لأنهم عادوا الإسلام واستعانوا بالكفرة لسحق وسحل اخوانهم المسلمين ..!!! **وسفاحين** لأنهم استطاعوا السير فوق جثث وأشلاء الشعوب .. بلا أدنى رحمة أو أي مشاعر إنسانية ..!!!

فبداية سعى بنو أمية بزعامة **معاوية بن أبي سفيان** للحصول على الخلافة بأي ثمن ، فلما تحقق لهم ما كانوا يطمحون إليه وما كانوا يطمعون فيه ، **بدلوا نظام الشورى والبيعة (النظام الجمهوري الديموقراطي الليبرالي) بنظام الإرث (الملك العضوض)** . فعهد **معاوية** بالخلافة من بعده لابنه **يزيد** وانتزع البيعة له بالمال لمن يخضع للمال ، وبالقوة لمن يخضع بالقوة ، وانتقلت الخلافة من بعده إلى **بني مروان بن الحكم** ، بعد أن تنازل عنها معاوية الثاني (ابن يزيد بن معاوية) واتسع بعد ذلك نطاق التوريث ، فأصبح الخليفة يعهد إلى ابنين أو أكثر من أبنائه يتوارثونها واحدا بعد اخر بالترتيب الذي يقرره (كما في المملكة السعودية في وقت صدور هذه الطبعة) وكما فعل **عبد الملك بن مروان بن الحكم** فقد عهد بالخلافة من بعده إلى أبنائه : الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام . وقد توسط **عمر بن عبد العزيز** بين سليمان ويزيد بعهد من سليمان .

واستقر نظام الخلافة في الدولة الإسلامية بعد ذلك على نظام الإرث وأصبحت البيعة رسما شكليا يقبل عليها الناس ، يتقدمهم الأمراء والكبراء وعلماء الدين ، وتؤخذ عليهم الأيمان المغلظة مع الحلف بالطلاق والعتاق لكي لا يتحللون منها [٤] . **ومنذ العصر العباسي الثاني لم يعد أحد يبالي بالبيعة بعد أن أصبح مصير الخلافة بيد المتغلبين ..!!! تماما ؛ كما لم يعد أحد يبالي بالانتخاب ــ في الوقت الحالي ــ في النظم البوليسية القمعية التي تقوم على تزوير إرادة الأمة في الانتخابات ..!!!**

وقد وقف الفقهاء ــ بكل أسف ــ من نظام الإرث في الخلافة موقف المُسَلِّم بالأمر الواقع . فأجازوا للخليفة أن يعهد بالخلافة إلى ابنه أو إلى ابن أخيه ، ثم أجازوا أن يعهد بالخلافة لعدد من أبنائه يتوارثونها على الترتيب الذي يقرره ، كذلك أجازوا خلافة من ينال الخلافة بالغصب ، حتى لو كان برا أو فاجرا ، لكي لا يبيت المسلمون بلا خليفة [٥] **. وبذلك يدخل في باب الإجازة جميع الخلفاء والملوك والأمراء الذين شملتهم قاعدة الإرث ، البر منهم والفاجر .**

وبديهي ؛ مثل هذا الفكر هو " **فكر فقهاء السلطان** " لأنه يجيز تولية الفاجر للحكم ، وهو ما يفتح باب الظلم على مصراعيه ، كما يفتح باب الفتك بالخصوم بأوسع معانيه ..!!! وليس هذا فحسب ، بل يصبح قتل السلطان مسوغا شرعيا طالما أصبح من حق القاتل تولى الحكم والخلافة .. وتصبح شريعة الغاب ــ وليست الشريعة الإسلامية ــ هي الشريعة السائدة ..!!!

فبداية بعهد معاوية انحاز بعض رجال وعلماء المسلمين الى الحاكم المنحرف ومنحوه الشرعية ليمنحهم الجاه والمنصب ، ومنها بدأ الانحراف الكبير وتشويه الرسالة السماوية التي أكدت على الوقوف بوجه الظلم والظالم .. ونصرة المظلوم ليصبح الخروج عندهم على الظالم بدعة وضلالة ورفض وكفر وخروج على الملة ..!!!

ومن يومها أصبح **الحاكم امير المؤمنين** إن أصلح فشكرا ، وإن ظلم فلا يجوز الخروج عليه .. فاستباح حرمات الأمة وبدل شعائرها وأسموا من ضرب الكعبة بالمنجنيق واستباح

---

[٤] صبح الأعشى ٩/٢٨٠ . عن موقع : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . المملكة العربية السعودية . (http://www.al-islam.com/arb/Minsteryinfo.asp?f=tree.htm)

[٥] الأحكام السلطانية للماوردي ص : ٩ ، ١٣ . الموقع السابق .

مدينة رسول الله بأنه أمير المؤمنين ولا يجوز الخروج عليه ..!!! واستمر أمراء الظلم في ظلم الرعية وصار **بيت المال نهبا شخصيا للخليفة** يمنح منه الآلاف إلى من يمدحه بقصيدة .. وينافقه بكلمة ..!!! ويسخر الحاكم الأمة كلها لحراسته وخدمته .. فأقام المذابح وحكم بالسيف واستمر في استضعاف العباد بفتاوى وعاظ أغراهم المنصب فباعوا دينهم بدنياهم .. وآخرتهم بأولاهم ..!!!

- **بداية الصراع ..**

في البداية ظهر الصراع بين أسرتين : **الأسرة الهاشمية والأسرة الأموية** . وبعد زوال الدولة الأموية سنة ١٣١ - ١٣٢هـ صار الصراع بين فرعين من الأسرة الهاشمية : الأسرة العلوية وزعيمها علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله (ﷺ) ، وسلالته من فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) ، والأسرة العباسية وزعيمها العباس بن عبد المطلب (عم رسول الله ﷺ) **يجمعهما جد مشترك هو هاشم بن عبد مناف** . وقد كانت هذه الأسر الثلاث (الأموية ، والعلوية ، والعباسية) تقيم حقها في الخلافة ، لا على نظام الشورى ، بل على نظام الإرث من السلف إلى الخلف ، ولكل منها حجته

وبعد ان تمكن العباسيون من انتزاع النصر . تحول الصراع بين العباسيين انفسهم . فقد عهد الخليفة ابو العباس الذي تلقب بـــ (السفاح) بالخلافة من بعده إلى اخيه ابي جعفر (المنصور) ومن بعده إلى ابن أخيه عيسى بن موسى ، ولكن أبا جعفر اجبر ابن اخيه على التنازل عن ولاية العهد إلى ابنه محمد (المهدي) .

ولما تولى **هارون الرشيد** الخلافة ولى عهده ثلاثة من بنيه هم : محمد (الأمين) وعبد الله (المأمون) والقاسم (المؤتمن) على أن يلوا الخلافة بهذا الترتيب ، ولما تولى الأمين الخلافة عزل أخاه المأمون من ولاية العهد وعهد بالخلافة من بعده إلى **ابنه القاصر موسى** ، وأدى هذا إلى الصراع بينهما ، الذي انتهى بقتل المأمون لأخيه الأمين .

وولى المأمون عهده من بعده إلى أخيه محمد (المعتصم) متجاوزا ابنه (العباس) ، ولم يطب للعباس ما فعله أبوه فأتمر بقتل عمه (المعتصم) مع بعض القادة .

ولما تولى جعفر (المتوكل على الله) الخلافة عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه محمد (المنتصر) ثم أراد تقديم أخيه محمد (المعتز) عليه في ولاية العهد ، فأتمر المنتصر على قتل أبيه مع قادة من الأتراك ونفذ القتل وتربع المنتصر عرش الخلافة ولم يلبث بها سوى ستة أشهر ثم مات وقيل مات مسموما ..!!!

ويتوالى الصراع .. ويسجل لنا التاريخ .. الخيانة والغدر والقتل .. من أجل الحصول على السلطة والملك .. ونكتفي هنا بعرض بعض نماذج أخرى في الدول المستقلة ..

- **في الأندلس ..**

فإذا انتقلنا إلى دولة الأندلس نجد الصراع كان على أشده للحصول على الملك ..!!! فقد تآمر على قتل عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ابن أخيه المغيرة ، ومعه نفر من أبناء عمومته ، فقبض عليهم عبد الرحمن سنة ١٦٦ هـ وقتلهم جميعا . وخلفه في الحكم ابنه هشام (الأول) فثار عليه أخواه سليمان وعبد الله , وامتدت ثورتهما إلى عهد ابن أخيهما الحكم (الأول) ابن هشام وتمكن من القضاء على ثورتهما بقتل الأول واستئمان الثاني والعفو عنه ، ولما تولى الإمارة عبد الله (الأول) ابن محمد سنة ٢٧٥ هـ أقدم ابنه المطرف على قتل أخيه محمد حين علم أن أباه سيعهد إليه بالإمارة من بعده ، ثم توالى الصراع من أجل الخلافة ، فقتل المستعين ابن عمه محمدا المهدي ، ثم قتل المستعين وقتل من بعده المستظهر ، وانتقل الصراع إلى الطوائف ، فكان بين الأبناء والإخوة والأعمام حروب ، استعان فيها كل جانب بملك من ملوك الفرنجة أو بزعيم للمرتزقة ، ويصبح الملك الإسباني هو الآمر بعد القيام بمهمته ، يفرض الإتاوة على من استنصر به ، فإذا عجز أو تأخر احتل إمارته وطرده منها .

- **في دولة المرابطين ..**

والتي بلغت منتهى علاها في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي (٤٥٣ - ٥٣٧ هـ) ، ثم أخذت مسيرة أحداثها في الانحدار . وقد تولى ملك المرابطين في آخر عهدهم ملكان لم يبلغا الحلم وهما : **إبراهيم** بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، **وابن عمه إسحاق** بن علي بن يوسف بن تاشفين وقد بويع الأول سنة ٥٤٠ هـ بعد وفاة أبيه ، ولم يتمكن المرابطون في عهده من صد الموحدين في معركة انتهت بهزيمتهم والقبض على إبراهيم وقتله ، ومبايعة الثاني من

بعده سنة ٥٤١ هـ . فلما احتل الموحدون مراكش قتلوه وقتلوا معه من وجدوا من أمراء المرابطين وقضوا على دولتهم ..!!!

- **في الدولة الفاطمية :**

بلغت الدولة الفاطمية أوج رفعتها وأقصى سعتها في عهد المعز لدين الله ثم أخذت في التردي والانهيار في عهد ابن حفيده **المستنصر بن الظاهر بأمر الله** ، الذي بويع خلفا لأبيه الظاهر سنة (٤٢٧ هـ) وله من العمر سبع سنين فتولت الجواري والخصيان العناية به والإشراف عليه ، وتركت أمور الدولة بين يدي والدته ووزيره أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي . وكانت أم المستنصر جارية سوداء ليهودي يدعى أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري وكان الظاهر قد اشتراها منه واستولدها ابنه المستنصر .

ولما خلف المستنصر أباه عيّن **أبو منصور صدقة الفلاحي** وزيرا له وكان يهوديا ثم أسلم ..!!! وارتفع شأن اليهود في زمان وزارته وأسندت إليهم مناصب الدولة , وولت أم المستنصر سيدها أبا سعد التستري اليهودي وظيفة المستشار لها وعهدت إليه بإدارة أملاكها ، وأخذ اليهود في اضطهاد المسلمين ، ونظم الشعراء الشعر الذي يندب حال المسلمين وفيه يقولون :

يهود هذا الزمان قد بلغو * غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمـــال عندهم * ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر قد نصحت لكم * تهودوا فقد تهود الفلك

ثم أخذ الوزير الفلاحي والمستشار التستري يتنازعان السلطة ، وقد استمال الفلاحي الجند الأتراك فقتلوا بأمره التستري ونقمت أم المستنصر على الفلاحي فشرعت في شراء العبيد السود فقتلوا الفلاحي ، وثارت الفتنة بين الأتراك والعبيد ودعي القائد بدر الجمالي ، أمير عكا فقدم إلى مصر سنة ٤٥٥هـ وأخمد الفتنة ..!!! وهكذا ؛ يستمر الصراع ..

- **في الدولة الأيوبية**

قسّم الناصر صلاح الدين الأيوبي , قبيل وفاته ، دولته التي ضمت مع مصر بلاد الشام والحجاز واليمن والجزيرة ، بين أبنائه وبين إخوته وأبنائهم وبين أبناء أعمامه ..!!! فجعل دمشق ومدن الساحل لابنه " **الأفضل علي** " وهو أكبر أبنائه / وجعل مصر وجنوب الشام لابنه

الملك العزيز عثمان / وجعل " حلب " وأعمالها لابنه **الملك الظاهر غازي** / وجعل الأردن والكرك لأخيه **الملك العادل (الأول)** / وجعل بعلبك لأخيه : **الملك المعظم تورانشاه (الأول)** وجعل اليمن لأخيه **سيف الإسلام طغتكين** / وجعل " حماة " لابن أخيه **الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه** / وجعل " حمص " لابن عمه **ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه** ..!!!

وهكذا يقسّم بطلنا الشعبي " **الناصر صلاح الدين** " ، البلاد وشعوبها كميراث بهائم على أسرته .. بل ويجعل أولاده وأبناء عمومته ملوكا معظمة .

ثم ما لبث أن تنازع هؤلاء الملوك المعظمون واختصموا على التركة ..!!! بل ويصل النزاع بين هؤلاء الملوك المعظمة بأن يلجئوا إلى الصليبيين من أجل توسيع رقعة أملاكهم أو بمعنى أدق رقعة تركتهم ..!!!

فحاول الملك العزيز عثمان أن يستخلص دمشق من أخيه الأفضل علي , وتمكن من ذلك سنة ٥٩١ هـ وتملك دمشق وولى عليها عمه الملك العادل وولى أخاه عليا على صرخد . وفي عام ٥٩٥ هـ يتوفى الملك العزيز عثمان فيخلفه ـ على مصر ـ ابنه الملك المنصور محمد وله من العمر عشر سنين ويتولى عمه الملك الأفضل رعايته والنيابة عنه .

وفي عام ٥٩٦ هـ يجهز الملك الأفضل جيشا ويتوجه به إلى دمشق لانتزاعها من عمه الملك العادل سيف الدين فيهزمه الملك العادل ويتوجه إلى مصر فيدخلها ويخلع الملك القاصر المنصور محمدا ويستولي على مصر ويولي عليها ابنه الملك ناصر الدين محمدا ويلقبه بالملك الكامل (الأول) ويجعله ولي عهده ويولي ابنه الآخر الملك المعظم عيسى على دمشق وهكذا تتحول السلطنة في مصر والشام من أبناء صلاح الدين إلى أخيه الملك العادل وأبنائه .

وفي عام ٦١٥ هـ يتوفى الملك العادل فيخلفه ابنه الملك الكامل (الأول) . وفي عام٦٢٤ هـ أراد الملك الكامل أن ينتزع دمشق من عمه الملك المعظم عيسى , فكتب إلى الملك **فردريك الثاني** ملك ألمانيا (وحفيد فردريك الأول إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة التي كانت تشمل ألمانيا وجنوب ايطاليا) , يستنجده على عمه عيسى ويعده إن هو تسلم دمشق أن يسلمه القدس . وكان الملك فردريك الثاني آنئذ في قبرص مع حملة صليبية جهزها للقدوم إلى بلاد واسترداد بيت المقدس من المسلمين , وقد أصابه من تأخره في تجهيزها حرمان من البابا .

واستجاب فردريك لطلب الملك الكامل وقدم إلى مدينة (عكا) سنة ٦٢٦ هـ وكان الملك المعظم عيسى قد توفي قبيل قدومه وخلفه في دمشق ابنه الملك الناصر داود ..!!!
ووجد الملك داود أن لا قبل له بحرب عمه ومعه الصليبيون , فتنازل له عن دمشق وعوضه الملك الكامل عنها بالكرك وصرخد والشوبك ، وولى الملك الكامل أخاه الملك الصالح إسماعيل على دمشق . وقد وفي الملك الكامل وعده بعد أن تسلم دمشق فسلم القدس إلى فردريك الثاني , فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها في كنيسة القيامة وعاد إلى بلاده ..!!!

فهذا هو حال الخلافة الإسلامية .. وحال ملوكنا المعظمة .. والكاملة ..!!! ثم يتهمون الشريعة الإلهية ــ وحاشا لله ــ بالقصور ..!!!

رابعا : الانصراف إلى الترف والمجون ..

لقد أدى بسط النفوذ الفارسي ، وخاصة في عهد هارون الرشيد / وابنه المأمون ، إلى تطور الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، حيث تسربت التقاليد الفارسية إليه ، وأضحت الحياة في قصور الخلفاء والوزراء والأمراء والكبراء شبيهة بما كانت عليه أيام ملوك الفرس ، وقد رسمت لها الآداب في جميع مظاهر الحياة ، منقولة عن الآداب الفارسية ، وأضحت التقاليد الفارسية نموذجا يحتذى ، ومنها الاحتفال بأعياد النيروز والمهرجان ..!!!

وتبدلت طرائق المعيشة في المطعم والمشرب ، فالطعام أنواع منوعة ، والشراب مبذول بكل ألوانه ، يعب منه الشاربون حتى السكر . واستدعى تبدل الحياة تطورا في الشعر والغناء ، فتفتقت أنفاس الشعراء عن معان جديدة وتشبيهات مستحدثة ، يذكيها سخاء الممدوحين ، من الخلفاء والوزراء ، ووجود المقصودين من الأمراء والكبراء ، وتأثر الغناء بالألحان الفارسية ، تشدو به لهوات قيان محسنات ، وتهتز على أنغامه قدود جوار فاتنات يطفن على القوم بأكواب من ذهب وفضة ، تشف منها خمرة معتقة حركت أحاسيس الأدباء والشعراء .. **ليكتب : كتاب ألف ليلة وليلة في صورة من المجون والأسطورة ..!!!**

وقد أحدثت هذه الحياة الطارئة على الإسلام ، تراخيا في الأخلاق الإسلامية ، وأصبح اللهو والمجون والعبث من سمات عصور الخلافة العباسية ، وكان المعول الذي قد جذور الخلافة الإسلامية لتصبح في العصر العباسي الثاني منصبا يعبث به القادة والمماليك . وبديهي ؛ مثل هــذه الأحداث هي التي أدت إلى تحول مسيرة التاريخ الإسلامي وهبوطه ..

وهكذا ؛ ماجت عصور الخلفاء العباسيين ــ باستثناء قلة (أتركها لنقاد هذا الكتاب) ــ بمجالس الطرب ، والغناء والرقص ، وسبحات الشهوات ، شهوات الشراب وشهوات الجواري التي انبثقت منها جميعا قصص " ألف ليلة وليلة " ..!!! وقد أعطانا **الخليفة العباسي " المتوكل على الله "** (لاحظ الاسم : المتوكل على الله ..!!!) والذي يسمونه : ذوي الدشاديش القصيرة مثلا عن النهم والشبق الجنسي الحيواني العنيف ، إذ كان لديه ــ كما يذكر المسعودي ــ أربعة آلاف محظية وطئهن جميعهن ..!!!

ولم يكتف الخلفاء بالجواري فقط بل حوّلوا أنظارهم الى الولدان ، حيث يصف ابن أبي النعيم حال الخلافة العباسية بالأبيات التالية :

أميــرنا يرتشـــي ، و حاكــمنا * يلوط ، و الرأس شر ما راس
قاض يرى الحدَّ في الزناء ، ولا * يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضي وعلى الــ * أمــةِ والٍ مــن آل عبــاس

وهكذا ؛ انصرف الخلفاء إلى الترف والمجون ، وأصبح السعي في طلب الملك غاية للمتعة والنعيم ، وهنا تطفو على السطح المكائد والمؤامرات ، فهذا ينافق في حضرة الخليفة ضد ذلك ، فتتحرك عجلة المؤامرات لتسحق هذا في السجن .. أو تغدر بذاك بالسم .. أو تغتاله طعنا بالسيوف ، و يُــقتل الخليفة ليحل الآخر مكانه . ثم يأتي ولي عهد ليقتل الخليفة ويجلس على عرش الخلافة ، وهكذا ...

وباسم الإسلام تم استباحة كل شئ .. والإسلام منهم براء ..!!! وكانت المساجد تصرخ بأعلى أصوات وعاظ سلاطينها بالدعاء للخليفة ، ثم تعود لتستبدل الخليفة بآخر كان قد قتل الأول غدرا بطعن أو بتسميم . وينام الناس على اسم خليفة ليصبحوا على اسم خليفة آخر . فمات الخليفة وعاش الخليفة ، ومات الملك وعاش الملك .. وغاب الجهاد .. **وضاعت شعوب العار تحت أقدام وبطش .. الخلفاء والرؤساء** ..!!!

- **رابعا : ارتقاء ملوك صغار سدة الملك**

لقد أتاح نظام التوريث في الخلافة والدول الإسلامية أن يخلف الابن أباه أو أخاه ، حتى ولو لم تتوفر فيه أهلية الحكم ، وهذا لا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، لأن شروط الخلافة تقوم على اختيــار الخليفة على **مبدأ الشورى والبيعة (النظام الجمهوري الديموقراطي)** ، وأن

يكون الخليفة راشدا سليم العقل ومن أهل العلم (على النحو السابق شرحه في الفصل الرابع) . ولهذا فقد أدى نظام التوريث إلى ارتقاء سدة الملك ملوك صغار منهم أطفال ومنهم أحداث مراهقون وقد أدى هذا النظام إلى تزاحم الوزراء والأمراء في الوصاية عليهم أو النيابة عنهم . لأن من يحظى بذلك تؤول إليه السلطة الفعلية في الحكم وفي التصرف بأموال الدولة كما يشاء فيغنى غناء فاحشا . وإذا وقع الاختيار على واحد منهم أقيم الاحتفال بخلافة الخلف فيزين بزينة الملك ويكسى بكسوته ، وقد يكون الخلف صغيرا فيحمله من انتصب وصيا عليه ويدخل به مكان الاحتفال ، وقد يرتاع الصغير مما يشهد فيندفع بالبكاء وقد يشتد روعه ويجري له أمر فزعا ، كما جرى للفائز الفاطمي ــ وكان في الخامسة من العمر ــ حين حمله الوزير العباس بن أبي الفرج الصنهاجي ودخل به إلى مكان الاحتفال فارتاع الصبي مما رأى وبال على كتف الوزير .

وإذا كان الخلف حدثا حجزوه بالقصر ، بعد الاحتفال بخلافته ، وحجبوه عن الناس وجمعوا له صبية في مثل عمره يلاعبونه . وإذا كان الخلف مراهقا ألهوه بالجواري وبكل ما يغري من كان في مثل سنه من أنواع المتع واللهو الماجن كما جرى للظافر بن الحافظ الفاطمي حين بويع خلفا لأبيه وهو في السابعة عشرة من العمر .. وهكذا كان التصرف مع خلفاء المسلمين من الاطفال والأحداث ..!!! وفيما يلي نذكر بعضا من هذه المآسي في بعض الدول على سبيل المثال وليس الحصر :

في الدولة العباسية : المقتدر خلف أخاه المكتفي سنة ٢٩٥هـ وعمره ثلاث عشرة سنة . المقتدي خلف جده القاسم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ وعمره ستة عشر عاما . المستظهر خلف أباه المقتدي سنة ٤٨٧هـ وعمره سبعة عشر عاما .

في الدولة الفاطمية : الظاهر بن الحاكم بأمر الله خلف أباه سنة ٤١١ هـ وعمره ستة عشر عاما ، وكان أبوه الحاكم قد خلف أباه العزيز سنة ٣٦٥ هـ وعمره أحد عشر عاما . المستنصر خلف أباه الظاهر سنة ٤٢٧ هـ وعمره سبع سنين . الامر بأحكام الله خلف أباه المستعلي سنة ٤٩٥ هـ وعمره خمس سنين . الظافر خلف أباه الحافظ سنة ٥٤٤ هـ وعمره سبعة عشر عاما . الفائز خلف أباه الظافر سنة ٥٤٩ هـ وعمره خمس سنين (سبق الحديث عنه عندما بال على الوزير الصنهاجي عند توليته للسلطة) . العاضد خلف جده الحافظ سنة ٥٥٥ هـ وعمره أحد عشر عاما .

في الدولة الأيوبية : المنصور محمد حفيد الناصر صلاح الدين الأيوبي خلف أباه العزيز عثمان سنة ٥٩٥هـ وعمره عشر سنين . الأشرف موسى حفيد الملك الكامل الأول خلف ابن عمه تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٨هـ وعمره ستة أعوام . الملك العزيز محمد خلف أباه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي سنة ٦١٢هـ وعمره ثلاث سنوات . الناصر صلاح الدين (الثاني) يوسف بن العزيز محمد خلف أباه سنة ٦٣٤هـ وعمره سبع سنين .

في الدولة الأموية بالأندلس : هشام الثاني المؤيد بن الحكم المستنصر خلف أباه سنة ٣٦٦هـ وعمره عشر سنين .

في دولة المرابطين : إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين خلف ابن أخيه إبراهيم بن تاشفين سنة ٥٤١ هـ وعمره عشر سنين .

في دولة الموحدين : المستنصر أبو يعقوب بن محمد الناصر خلف أباه سنة ٦١١هـ وعمره ستة عشر عاما .

وهكذا : يتوالى توريث الحكم إلى الأطفال والأحداث .. ليكونوا خلفاء للمسلمين ..!!!

خامسا : الاستبداد والظلم ..

ويموج التاريخ الإسلامي باستبداد وظلم الحكام .. ولن نضرب الأمثلة عن ماضينا البعيد بل سنعرض للاستبداد والظلم .. في تاريخنا المعاصر في الفصلين التاليين ..!!!

* * * * * * * * * * *